الأخلاق والعادات

للاحباش اخلاق وعادات خاصة بهم كما لغيرهم من الامم ونجد شبهاً قوياً لهذه العادات عند اعراب البادية عندنا: فالمراة تحمل صغيرها على ظهرها ضمن مخلاة لايفارقها قط في ذهابها وايابها، وقيامها وجلوسها. وفي هذه المخلاة ينمو الطفل كما ينمو الغصن الصغير على الشجرة. والناظر لا يرى من الطفل الا الرأس الذي لاتؤثر الشمس عليه قط، مع ان الابيض لايقدر على الوقوف في الشمس خمس دقائق من غير مظلة، والا اصابته بضربة الشهب على أثرها دماغه وقضي في الحال. واذا بكى الطفل في اثناء سير الام فانها تسحب المخلاة اما عن اليمين واما عن اليسار وترضعه وهو في كيسه وبعد الفراغ من ارضاعه تنتفض فتذهب المخلاة الى محلها القديم على ظهر المراة.

الاحباش المسيحيون - خلا اكابرهم - لايغسلون اجسامهم ولا ملابسهم، فلذلك لايصعب على الانسان بعد مخالطتهم برهة قليلة ان يفرق بين المسلم والمسيحي، لان المسلم يجدد وضوءه - كما هو معلوم - كل يوم اكثر من مره.

وللاحباش عادات غريبة في الطعام والشراب: فالمسيحيون منهم

يأكلون تحت ستار خشية الاصابة بالعين . اما المسلمون الذين اثر فيهم الاسلام وطبعهم ، فانهم يأكلون من غير ستار لعدم تعصبهم ولاعتقادهم بعدم الاصابة بالعين واعتقاداً منهم ان المقدر من الله سبحانه .

عاداتهم في المآتم

عندما يتوفى المسلم الحبشي يغسلونه ويكفنونه ويدفنونه حسب تعاليم الشريعة الاسلامية خلا بعض عادات محلية طفيفة لاشأن لها وليست من الدين في شيء .

اما جنازة المسيحي المتوفى فانها تكون متقدمة ببعض قسس متعممين بعمامات بيضاء على لباد طويل ووراءها كثير من النساء يقفزن في سيرهن ويصحن على نغم واحد قائلات : « ويح! ويح! ويح!.... » وعندما يقفزن تروح ايديهن وتجيء كايدي الجنود التي تمشي مشياً سريعاً . واذا كان الميت من ذوي المكانة يستأجرون نساء للعويل والبكاء يسرن وراء الميت ضميمة الى اقربائه واحبائه . ويمشي الرجال وراء النساء لايختلطون بهن ابداً .

وبعد وضع الميت في قبره يأخذ اقاربه بالبكاء والعويل حول قبره مدة ساعة وهم يقفزون ثم يوارونه التراب ، ويدفن الاغنياء منهم بتوابيتهم. ويحلق النساء القريبات للميت - ولا سيما زوجاته - رؤوسهن ويكوين جباههن وخدودهن بالحديد الحامي . والحزن على الميت يمتد سنة كاملة .

الميراث

يرجع المسلمون في تقسيم ارث الميت الى شريعتهم. اما غير المسلمين فان الزوج والزوجة يرث كل منهما الآخر، وبعد وفاة الاثنين ينتقل مايملكانه الى اولادهما، ونصاب الانثى كنصاب الذكر. وانما على الورثة قبل تقسيم الارث ان يؤدوا مصروف المأتم والجنازة، واذا لم يف الارث المتروك بهذه النفقات يضطر الورثة الى دفع مابقي من جيبهم. وإذا لم يترك الميت وصية فأن اعترافه للقسيس قبيل موته يقوم مقام الوصية، والقسيس يعلن للأقرباء والناس ذلك بعد وفاة المعترف.

الملابس :

يضع الاعيان القبعة على رؤوسهم والباقون يبقون مكشوفي الرؤوس. ومن الاحباش من يترك شعر رأسه على حاله، ومنهم من يحلقه كله او جزءاً منه كالشعر النابت على اليافوخ مثلاً، ومنهم من يضع على رأسه عمامة صغيرة ومنهم من لف حول رأسه قطعة من الشريط.

والاحباش يتأزرون بقطعة من القماش الابيض، وعلية القوم عندهم تلبس السروال الذي يمتد الى مافوق رسغ القدم علاوة على هذا الأزار الذي يستر بقية الجسم.

اما البسهم الرسمية فهي عديدة لايمكن حصرها. وفي الحفلات العامة يتقدم اكابر الاحباش عبيدهم حاملين احسن اسلحتهم من رمح او

ترس او حربه . ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسود أو النمور فتتدلى من وراء رؤوسهم ويتراءى للرائي عندما ينظر لاول وهلة هذه الرؤوس انه يرى امامه انساناً في شكل أسد او نمر.

الاطعمة والاشربة :

طعام الاحباش متنوع ؛ ولكن طعام الطبقة الارستقراطية اليومي هو اولا المسمى « زيتي » وهو لحم يقلى بالسمن ويوضع فيه كثير من الفلفل الاحمر حتى أن الناظر اليه يظن أنه مطبوخ بالبندورة . ثم مايسمونه « تسمى » ويشبه الشواء . ثم اللحم النيء يغمسونه في الفلفل الاحمر ويأكلونه من غير خبز . واللحم والشحم النيئان يستسيغهما كل الاحباش ولا يقدر أحدهم ان يبقى بدون أكلهما مدة طويلة ، ويسمونهما « برندو » . وللاحباش نوع آخر من الطعام منتشر بين طبقات الناس كلها ويسمونه « سيرو » وهو عبارة عن عجين يطبخ بالماء ويضاف عليه الفلفل الاحمر ، وهو طعامهم الوطني . والاغنياء منهم يعالجون « السيرو » بدقيق العدس أو دقيق الحمص ، أما الفقراء فيطحنونه بدقيق الفول ، وبعضهم يطبخه بدقيق بذر الكتان . وهناك أصناف اخرى من المآكل مثل « امباشا » وتعمل من دقيق القمح وتطبخ بالفرن كالخبز ، و « دابو » وتعمل من دقيق الحنطة ايضا ، و « غوتنفو » وهو عبارة عن عجين يحشى قطعا مفرومة من اللحم ويقلى بالسمن ، و « كلكل » وهي نوع من اللحم المسلوق .

والأحباش يأكلون اللبن المصنوع من غير غلي ولا خميرة بعد أن يضعوا فيه فلفلا أحمر ، ومرق هذا الفلفل يقوم مقام الادام عند الفقراء. وعلى الجملة فالفلفل الاحمر تجده مرافقا لجميع انواع الاطعمة المختلفة ، ولذلك يدخره كل صاحب منزل في أوانه بالقناطير ، ويعملون منه ضربا من المرق يشبه مرق البندورة يغمسون فيه الخبز المسمى « انكره » ويأكلونه . والفقراء يسرهم جداً هذا الادام .

ويعمل الاحباش انواعا من العصيدة من دقيق الذرة والفاصولياء والشعير و الدف والحنطة ، ويكثرون من وضع الفلفل الاحمر في هذه الاطعمة حتى إنه لايتأتى لامثالنا ان يضع منه ولو قليلا في فمه ، بل لايستطيع احدنا وضع اصبعه فيه لانه يفعل مايفعله الجرذل .

ويعملون نوعا من الفطير يسمى برانجيرا وهو يشبه « البناجه » عندنا . ولهم نوع من البسكويت يهيئونه لاسفارهم الطويلة (وربما كان غذاء مسافرهم الوحيد) وتكون كل قطعة منه بقدر البندق ويكون داخله مليئا بالعجين ويسمونه « دانغلو » ولا يقدر احدنا على اكله لكثرة الفلفل الاحمر الموضوع فيه . ويصنعون نوعا من اللحم المقدد يأكلونه في اسفارهم اذا لم يوجد لحم نيء طازج ولا يأكلونه الا بعد ان يغمسوه بالفلفل الاحمر . والحبشي الفقير لايلتفت الى وجود الملح وعدمه ولا يخطر له بال مادام الفلفل الاحمر موجوداً لان الملح في الحبشة غال جداً.

ويصنع الاحباش خبزهم من غير ملح وهم يضعون الملح في القهوة عوضاً

عن السكر.

وللاحباش اشربتهم الوطنية كما لغيرهم من الامم واكثر هذه المشروبات شيوعا هما « التج » و « البرز » وهذا على غاية عظيمه من اللذة والنفع ، لونه اصفر رائق جدا وهو مشروب المسلمين لانه غير مسكر، ويكثرون من شربه حتى ان بعضهم يستعيض به عن الماء . ولهم شراب آخر اسمه « طاالا » وهو بيرة الاحباش الوطنية كما ان « التج » نبيذهم الوطني .

والمسيحيون في الحبشة لايأكلون مع المسلمين على مائدة واحدة وكل من الفريقين لايتناول شيئا من ذبائح الآخر ولا من آنيته؛ كما ان المسيحي لايمس جلد حيوان -- ولو كان مدبوغا - اذا ذبحه مسلم ولا عكس وهذه من الامور الغريبة في بلاد الحبشة لان المسيحيين والاسلام فيها يعيشون في غاية الوئام والسلام : فلا مشاحنات دينية بينهم ولا غيرها .

انواع الزواج :

يتزوج المسلمون واليهود الحبشان طبقا للشريعتين المحمدية والموسوية والوثنيون بحسب أعرافهم الابتدائية ، وهذه الاعراف تحصر بطقوس خاصة لاشأن لها ، إلا ان الرجل يمكنه ان يتزوج عدة نساء ويجمع بينهن.

واما النصارى فان لهم طرائق ثلاث في زواجهم :

١ . - الزواج الطبيعي ويسمونه (روموز): وذلك أنه إذا رغب ان يتزوج مسيحي امرأة اعجبته يطلب اليها ان ترضى به بعلا لها ، فاذا وافقته تكون زوجة له بدون افراح او شروط مكتوبة او احتفالات دينية . والرجل مكلف باعاشة زوجته وبتقديم كل مايلزم لها من النفقة . والمرأة مكلفة بالقيام بالشؤون المنزلية والذهاب معه حيثما يذهب . ويمكن الانفصال حسب رغبة احد الطرفين ، وإذا كان هناك اولاد فان الذي يكون عمره اقل من ثلاث سنوات يبقى عند والدته حتى يبلغ الثالثة تماما ، ووالده مكلف بنفقته .

٢ . ــ الزواج المدني : ويتم بتراضي الطرفين وشهادة الشهود ومواجهة مختار القرية أو وجيه القبيلة الذي يسجل ثروة الطرفين وما يمتلكان من من أموال . فاذا حصل الطلاق برضاء الطرفين قسمت اموالهما مناصفة فيما بينهما . أما إذا حصل الطلب من طرف واحد فلا يحق له أخذ شيء من الاموال المشتركة ، ولزوجة المطلق أن تتزوج غير زوجها الاول من غير عدة !!

٣ . ــ الزواج الديني : وهو الذي يجري بمعرفة القسس في البيع وليس الزوجين اللذين تزوجا على هذه الطريقة ان يطلبا الطلاق سواء أكان هذا الطلب منفردا أم مشتركا ، لذلك تجد ان الاقبال على هذا النوع من الزواج قليل جدا .

تتزوج الفتيات الحبشيات على الغالب فيما دون الثالثة عشرة من عمرهن .

***

البغاء في الحبشة غير معروف إلا في مقاطعتي « غوندار ، وعدوى» وذلك بتأثير المدنية الاوروبية، وبما أدخله البرتقاليون من سوء الاخلاق وفسادها .

اللغة

ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم
وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين
« قرآن كريم : سورة الروم ، الآية : (٢٢) »

لم يكن للحبشة في جميع الادوار والاطوار التي مرت عليها ، لغة واحدة يأخذ بها العامة والخاصة ، ويتكلمها البدو والحضر ، بل كان لها لغات مختلفة ولهجات متنوعة تكلمت و كتبت بها في اطوار كثيرة من الزمن. وسنتبع في بحثنا هذا التسلسل التاريخي الذي مرت عليه لغات الحبش ولهجاتهم منذ ان تفرق اولاد نوح (ع) في أقطار الارض :

١ ـ اقدم لغة معروفة في الحبشة « الجعزية » (١) (GUEZ) . وهي لغة سامية الاصل ، يقال في اصل دخولها بلاد الحبشة إن اليمنيين الذين غزوا إثوبيا فيما مضى من الزمان ادخلوها بطريق التأثير و التطبيع ، اخذها الحبشان واستعملوها في كلامهم ومخاطباتهم . ولا يعرف على الضبط الزمن

---

(١) معنى « جعز » في اللغة الحبشية « الأحرار » ، أي : لغة القبائل الحرة .

الذي وطأت فيه ارضَ الحبشة القبائلُ اليمنية وفي اي برهة من الزمن حكمت بلادها . إلا انه من الثابت تاريخيا ان هذه القبائل حكمتها حقبة طويلة.

ولقد تبين لطائفة من علماء المشرقيات ان الكتابة الجعزية مشتقة من الكتابة السبئية، وهذا مايثبت اختلاط القبائل الحبشية واليمنية في أزمان متطاولة تدل على مدى العلاقات السياسية والتجارية والاجتماعية بين الأمتين.

ويرى الاستاذ ولفنسون (١) ان الشبه الكائن بين لهجات القبائل الحبشية ولهجات القبائل في جنوب الجزيرة العربية يُستنتج منه ان القبائل الحبشية هي قبائل عربية ، نزحت من اليمن. اما تحديد الزمن الذي نزحت فيه هذه القبائل ، فهذا امرٌ لايمكن ان يقطع فيه ، وانما يمكن ان يقال إنه قديم جداً .

حافظت اللغة الجعزية على كثير من عناصرها الاصلية محافظة شديدة مدة طويلة : فبقيت ثابتة الاركان ، مستقرة الاصول ، لاتعرف الدخيل ولا تتأثر به ـ خلا بعض كلمات طفيفة من العربية والسريانية والعبرية ، وبعض اصطلاحات بسيطة في اصول كتابتها اخذتها عن اليونانية .

* * *

كانت اكسوم عاصمة المملكة ، ومركز الدين . اتخذها ملوك جعز

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٢٥٤ م . الاعتماد ـــ القاهرة ١٣٤٨

حاضرة لملكهم حقبة مديدة، لذلك يجب ان يكون فيها بقية باقية من اطلال وخرائب وقبور نقشت عليها بعض كتابات. وعلماء الآثار يتشوقون كثيراً لمعرفة ماتدفنه ارضها من كنوز علمية وتاريخية . إلا أن رجال الدين لايسمحون اليوم بذلك نظراً لما لها من القدسية في اعينهم. على ان هناك كتابة جعزية مدونة بالقلم السبئي منسوبة للملك « عيزن » ملك اكسوم وحمير وريدان والحبشة وسبأ الخ... ملك الملوك بن محرم الذي لم يغلب على امره ... حارب قبائل البيدجا ومزقهم شر ممزق ، وقدم للآلهة الضحايا لانها انعمت عليه بالخيرات...

هذه الكتابة ترجع الى النصف الاول من القرن الرابع ب. م. في حين كان فيه ملوك الحبشة من عبدة الاصنام ـ مما يدل على تطاول عهد اللغة الجعزية .

٢ ـ لما اعتنق الحبشان النصرانية ، بقوا محافظين على لغتهم الرسمية « الجعزية » فترة من الزمن . ثم اصيبت هذه اللغة ، كما اصيب سواها من لغات الامم والشعوب ، بالتحول والتفرع على توالي الازمان : فتولدت عنها لغات فرعية عديدة عندما تعددت لهجات الاهلين تحت تأثير الزمان وعوامله : من الجوار والحروب والدين والاخلاق فأصبحت لغة الحبشة مزيج لهجات حامية يدور حول اصول سامي .

بقيت الجعزية لغة الكتابة بين مختلف قبائل الحبشة ولم تبق لغة المخاطبة والكلام واصبحت نسبتها في المخاطبة والكتابة كنسبة اللغة العربية

الفصحى إلى اللغات المحكية اليوم في سورية والعراق والحجاز ومصر وشمالي إفريقية . ثم انحطت وكادت تذهب من عالم الوجود لولا ان حافظ على استعمالها رجال الدين فترة من الزمن طويلة .

٣ـ نشأ عن هذا كله ان تولدت لغات جديدة عن اللغة الجعزية الاصلية تراوحت بين جزر ومد ، وجذب ودفع ، إلى أن قويت عليها كلها لهجة أمحرا ، فحلت محلها وتبوأت عرشها ، وأضحت لغة الحبشان الرسمية . وتعرف هذه اللغة باسم « الأمحرية ».

والامحرية (١) هذه نشأت عن مختلف لهجات كان يُتكلم بها بين النيل الازرق في الجنوب ونهر « التكازي » في الشمال . ويرى المسيو « أبادي » (٢) ان تسميتها بالامحرية من قبل المجاز وإنما يجب أن تسمى (AMARIAGNIA) لصحة انطباق هذه اللفظة على النطق الحالي السائد والموافق لاملاء الأمحرية .

قلنا إن الأمحرية لغة نشأت عن اللغة الجعزية وتأثرت باللغات الافريقية المجاورة ، وهذا التأثير يكاد يظهر في كل قاعدة من قواعد نحوها .

على انها ، رغم كونها اصبحت اللغة الرسمية للدولة ، ورغم انتشارها

---

(١) دائرة المعارف الفرنسية الكبرى في مادة Amharique

(٢) انطون توماس ابادي (d'Abbadie) رحالة فرنسي (١٨١٠-١٨٩٧) جاب في بلاد الحبشة وكتب عنها . انتخب عضواً في مجمع العلوم الفرنسي عام ١٨٦٧ . أهم كتبه Géodésie de la haute Ethiopie (Paris , 1873.)

بين الناس ، فانها لم تستطع ان تكون لغة التأليف والتدوين . ويعتبرها علماء اللغات الجسر الموصل بين اللغات السامية واللغات الحامية: فقد تأثرت بالسامية من الجعزية ، لانها كانت لغة الدين والكنيسة (ولا يخفى تأثير الدين الشديد على اللغات) وتأثرت باللغة الحامية من كثرة القبائل التي كانت تتكلم بها .

بقيت الأمحرية لغة المخاطبة والكلام، لم يكتب لها التدوين حتى نهاية القرن السادس عشر ب. م. إذ استخدم لتدوينها وكتابتها حروف الهجاء الاثيوبية المتميزة بمقاطعها ؛ مضاف اليها حروف خاصة للابانة عن اصوات حروف جديدة لم تكن معروفة فيما سبق وهذه الاصوات هي: (Sha, tcha, gna, kha, dja, je, tt.) شا تشا، نيا ؛ خا ، دجا ، جوات.

وللمبشرين الأثر العظيم في نهوض اللغة الامحرية : إذ ترجموا نصوص كتب الدين اليها ، ليستفيدوا من تمكن الصلات الروحية بين جميع طوائف البلاد على اختلاف نحلهم وأهوائهم . وبذلك فقدت اللغة الجعزية، التي كانت لغة التأليف والكتابة، مكانتها وحلت محلها اللغة الامحرية. وهي مستعملة اليوم في التدوين والكتابات الرسمية والصحف المنتشرة بين الشعب الحبشي . وإليك مفردات من كل من الجعزية والامحرية التي تشبه العربية :

العربية	الجعزية	الاكحرية
أنا	أنا	أنه
أنت	أنت	أنت
أنت	أنت	أنتي
أنتم	أنتم	الانت
نحن	نحنا	اينا

لغة الاحباش صعبة جدا على غير اهلها ، وقد قيل فيها إنها لاتشبه لغات سائر الشعوب في شيء ، واذا اضفيت إلى جماعة منهم يتكلمون حسبت أن في مصدر الصوت خفافيش تصيح .

الخط الحبشي :

قال القلقشندي في صبح الاعشى :

« ... ولهم قلم يكتبون به من اليمين الى الشمال كما في العربي ، حروفه ستة عشر حرفا لكل حرف منها سبعة فروع ، فيكون عدتها مئة واثنين وثمانين حرفا سوى حروف أخر مستقلة بذاتها ، لاتفتقر الى حرف من الحروف المذكورة ، مضبوطة بحركات نحوية ، متصلة بالخط لامنفصلة عنه . ومع كونهم جنسا واحدا ، فلغاتهم تزيد على خمسين لسانا . »

ثم أخذ الحبشان فيما بعد عن اليونان طريقة كتابتهم من اليسار إلى اليمين وقلدوهم بها .

العربية والحبشية

يرى الاستاذ ولفنسون (١) أن في بلاد الحبشة الآن لغتين سائدتين :

(١) ص ٢٦٥ « ذ. س. »

(وهي اكثر انتشارا) ثم الامحرية. على ان هذا الرأي سواء اكان صحيحا او غير صحيح — فان من الثابت المحقق أن في الحبشة قبائل من اصل عربي مازالت الى الآن محافظة على لغتها وعاداتها واخلاقها البدوية

وبين اللغتين — العربية والحبشية — صلات اشتقاق واقتباس، ولا غرابة في ذلك إذ يرى المسيو «ابادي» وغيره من علماء اللغات الذين بحثوا في اللغة الحبشية وأصلها «أن اللغة الحبشية من حيث اصلها ووضعها لغة سامية محضة، من اخوات العربية والعبرية والسريانية» ويرى العلامة الالماني «بريتوريوس» «انها لغة مستخرجة من اللهجات العربية القديمة. وتدل نسبتها إلى اللغة العربية الحركات الصغيرة الاخيرة في تراكيب الكلمات وكثرة عدد المصادر الثلاثية والرباعية، وصيغ جموع التكسير واشياء كثيرة غير هذه لا دخل لها في اللغات السامية الشمالية».

على ان اللغة الحبشية سواء اكانت مستخرجة من العربية او ان للعربية عليها سلطان التأثير فحسب، فانه ورد في التنزيل العزيز كلمات ذهب بعض المفسرين إلى انها جعزية بقيت محافظة على لفظها التام. من ذلك قوله تعالى في سورة النساء (١): «انه كان حوبا كبيرا.» ومعنى «الحوب في الحبشية الاثم». وقوله تعالى في سورة هود (٢): إن ابراهيم لحليم اواه منيب» ومعنى «الاواه» بلغة الحبش «الموقن» وقيل: «المؤمن» او «الحكيم». وقوله تعالى في سورة الرعد (٣): الذين آمنوا وعملوا

(١) الآية ٢ (٢) الآية ٧٥ (٣) الآية ٣١

الصالحات طوبى لهم وحسن مآب . » و « طوبى » معناها « الجنة » . وقوله تعالى (١) : « فول وجهك شطر المسجد الحرام . » والشطر بلغة الحبش « الجهة » . وقوله تعالى : « طه ! ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى » و « طه » بلغة الحبش ، على رأي ، « يامحمد ! » وعلى آخر : « يارجل ! »

هذا كثير من قليل شقناه من قبيل المثال .

وقد ورد كذلك في كلام النبي (ص) كلمات ذهب بعض شراح الحديث إلى انها حبشية ، والاحاديث التي سنسرد بعضها صحيحة موثوقة الرواية والسند .

١ . — ذكر الامام السيوطي (٢) رحمه الله في كتابه « أزهار العروش » أن أم خالد بنت خالد بن سعيد (رض) قالت : قدمت من أرض الحبش وانا جويرية ، اي حديثة السن ، فكساني رسول الله (ص)

---

(١) البقرة الآية ١٤٩

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الخضيري السيوطي (٨٤٩ — ٩١١ هـ .) صاحب المصنفات الكثيرة . ولد في اسيوط ، وطلب العلم على علماء عصره ، ورحل في طلب العلم الى الشام والحجاز واليمن والهند والتكرور . صنف في اغلب العلوم التي عرفت الى عصره ، بخلاف اكثر المصنفين الذين غلب عليهم علم او نوع من العلوم : فله مؤلفات في علم التفسير والقراءات ، وعلم الحديث وما يرتبط به ، والفقه ، وعلوم العربية ، والتاريخ ، والادب . وقد اثبت بنفسه مؤلفاته في كتابه « حسن المحاضرة » فبلغ مجموعها ٢٢٠ مصنفا ، منها مصنف سماه « رفع شأن الحبشان » .

خميصة ، أي كساء له أعلام ، وجعل يمسح الاعلام بيده (ص) ويقول: « سناه ! سناه ! » أي : حسن ! حسن ! بلغة الحبش (١) .

٢ . — وذكر السيوطي أيضا في كتابه المذكور أن أم خالد (رض) هذه قالت : اتى رسول الله (ص) بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « من ترون أكسو هذه ؟ » فسكت القوم . فقال : « ائتوني بأم خالد » فأتي بي ، فألبسنيها بيديه (ص) وقال : « إبلي وأخلقي !» (مرتين) وجعل ينظر إلى اعلام فيها صفر وحمر ويقول : « ياام خالد ! هذا سناه ! »(٢) .

٣ . — سئل رسول الله (ص) عن الساعة فقال : « علمها عندربي : لايجليها لوقتها إلا هو ! ولكن ، أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها : إن بين يديها فتنة وهرجا . » فقالوا : يارسول الله ! الفتنة قد عرفناها ، فالهرج ماهو ؟ قال (ص) : « القتل بلسان الحبش . »(٣)

***

أما مادة (ح ب ش) فقد اجمع علماء اللغة على انها تفيد هي ومشتقاتها معنى التجمع . وقد وردت بهذا المعنى في كلام فصحاء العرب وبلغائهم ، وفي شعر شعرائهم . ونظرة واحدة إلى هذه المادة في احد المعاجم المعروفة

---

(١) أخرجه البخاري وابو داود عن ام خالد بنت خالد بن سعيد .

(٢) اخرجه الحاكم وصححه عن ام خالد .

(٣) اخرجه الامام احمد عن حذيفة (رض).

تعطيك امثلة كثيرة على ما اكتفينا بالاشارة اليه .

* * *

هذه إلمامة خفيفة عن اللغة الحبشية وعلاقتها بلغة القرآن ، سقناها اليك في هذه المجالة لتقف على شيء من اصلها وتطورها ، لا لتعلم كل شيء . فان شئت توسعاً في هذا البحث فقد وفاه حقه الاستاذ إسرائيل ولفنسون في كتابه « تاريخ اللغات السامية » وكان موفقا فيه إلى حد بعيد .

الآداب والفنون

الآداب

اللغات الحبشية غنية بآدابها ، إلا انها اثيوبية محضة، مكتوبة باللغة الجعزية القديمة . وتتمثل هذه الآداب بمؤلفات دينية وتاريخية . اضف إلى هذا ان الاحباش لم يهملوا الآداب الاجنبية ، بل قاموا بترجمة كثير من آداب الاغريق ، ونقلوها الى لغتهم منذ امد بعيد . على انهم لم تذب شخصيتهم في كتب الدين والتاريخ وفي الترجمات التي اعجبوا بها ، بل كانت لهم آداب محلية رائعة تمثل نفسية الامة الحبشية تمثيلا صادقا صحيحا. ولعل هذه الآداب المحلية اروع ثمرات قرائحهم ونتاج عقولهم .

تتضمن هذه « المحليات » شعرا غزير المادة ، فيه من ذوب العاطفة ، ورقة الشعور ، ومظاهر القوة والبطش ، ووصف الماء والسماء والسحاب والمطر ، والشمس والنجوم والأنهار والبحيرات ، والشجاعة والبطولة - وغير ذلك مما يلائم طبيعتهم ، ويناسب إقليمهم - الشيء الكثير.

هذا في اللغة الجعزية القديمة ، اما في اللغة الامحرية الحديثة ، التي لم يكتب لها التدوين إلا منذ عهد قريب ، فليس فيها شيء من المؤلفات

المهمة ، الا انهـا بدأت بالنهوض والتقدم منذ ان شعر الاحبـاش بلزوم ذلك ، واصبحت العلوم العصرية منقولة اليها في حدود ضيقة جدا .

الفنون

يعنى الاحباش عناية خاصة بالشعر الموسيـقي والضـرب على آلات الطرب ، شأن كل قبائل افريقية الوسطى والجنوبية ، لابل شأن الانسان في كل آن ومكان ، لما ركب في طبعه من الميل الى الغناء والموسيقى .

والرؤوس انفسهم يقدمون الموسيقي ويتوددون اليه لما له من الاهمية في الحماس الوطني والدفاع والهجوم في حالات الحرب ، وتأجيج العواطف النفسانيه عندما يخلو الرأس الى أزواجه او محظياته في اوقات السلم .

آلات الطرب الحبشية على غاية من البساطة : مقصورة على الطنبور وحيد الوتر المصنوع من قصب البوص ، والناي ، والطبل ، والنقارات ، والمزامير الطويلة . والطنبور يعزف عليه في المآتم كما يعزف في الافراح .

وللحبشان ولع خاص بالرقص . ورقصهم يشبـه الوثب الخفيف ، ويشترك فيه الرجال والنساء . ولا يخلو من اغاني تدور على ذكر الحروب وابطالها ومواقعها ، وذكر وقائع غرامية معروفة .

فن البناء

فن البناء منحط عند الاحباش ، وقد قامت ابنيتهم المهمة على سواعد الاجانب

كما يستدل من آثارها الباقية . اما ابنيتهم الخاصة بما فيها بعض كنائسهم وهياكلهم فانها مبنية من القش وغصون الشجر ـ ان صح ان يكون هذا بناء ـ .

الكنائس العظيمة القائمة في البلدان الكبيرة مبنيـة بشكل دائروي تتوسطه دائرة اخرى داخلية فيها « التابوت » او « القبر المقدس » .

* * *

واليوم تجد في العاصمة وفي معظم البـلدان الكبيرة آثار نهضـة عمرانية عظيمة ابتدأت منذ عهد منليك الثـاني . وقد شيـد الامبراطور الحالي فيها شيد دوراً كبيرة لمصالح الحكومة بنيت على الطراز الاوروبي المحض حتى ليحسبن المشاهد نفسه عندما ينتقـل من دار وزارة الى دار بلدية انه انما ينتقل في بلد على جانب عظيم من العمران .

الصحافة والمطبعة

لم نعثر في جميع المصادر التي بين يدينا على ذكر للصحافة والمطبعة في الحبشة . فوجهنا سؤالا الى الاستاذ الفيكونت فيليب دي طرازي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وامين دار الكتب الاهلية في بيروت ، ومؤلف « تاريخ الصحافة العربية(١) » كتاباً طلبنا اليه فيه الاذلاء بمعلوماته . فتفضل — حفظه الله — بما يلي :

المطبعة

إن هذه البلاد (الحبشة) كانت متأخرة جدا وغائصة في دياجير الظلام العلمي. ولم تبدأ نهضتها العلمية الا في عهد النجاشي منليك الثاني الذي تولى العرش في ٤ تشرين الثاني ١٨٨٩ خلفا للنجاشي يوحنا. واول مطبعة نشأت في الحبشة كانت في عهد منليك المشار اليه اذ كان الاحباش حتى ذلك التاريخ ينسخون كتبهم بالخط في جميع شؤونهم الدينية والعلمية. وقد احضرت حروف تلك المطبعة، على ما بلغني، من مطبعة مجمع بروبغندا في رومية . لانها وحدها في العالم كله كان لديها الحروف المذكورة .

(١) صدر منه حتى الآن اربعة اجزاء

الصحافة :

ان مانعرفه عن الصحافة الحبشية هو انه عندما تولى النجاشي الحالي هيلاسلاسي زمام الحكم لم يكن في الاقطار الحبشية الا جريدتان فقط . وقد تزايد هذا العدد حتى وصل الى خمس صحف لاغير في الزمن الحاضر وتصدر كلها باللغة الحبشية وحدها ولا يوجد على الاطلاق صحف غربية عن هذه اللغة تصدر في البلاد المشار اليها.

***

هذا مانعرفه عن احوال المطبعة والصحافة في بلاد النجاشي استقيناه من اوثق المصادر وارسلناه ...

فيليب دى طرازى

العرق

يأيها الناس ! انا خلقناكم من ذكر وانثى
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا .
ان أكرمكم عند الله أتقاكم، ان الله
عليم خبير .

« قرآن كريم : سورة الحجرات ، الآية (١٣) »

لم يعرف دم الاحباش والعرق الذي يمتون اليه على التحقيق حتى اليوم ، لخفاء اصلهم واندراسه بدروس الزمن، وذهابه مع توالي الاحقاب .

وقد تعددت آراء علماء الاقوام (ETHNOGRAPHES) وتضاربت بشأن عرقهم واصلهم ، ومنهم من بقي مكتوف اليدين لايبدي ولايعيد في سبيل ذلك .

قال المسيو جول بورلي في كلامه على اهالي الحبشة : « إنهم ليسوا من شعب واحد : وذلك لان أربعة أخماسهم من أولاد العبيد ، وهؤلاء العبيد من شعوب مختلفة . وقد وجدت ثياب ونقود في أماكن مختلفة

تدل دلالة واضحة على أنها من اصل تركي ، وأن الفرس كانوا ينزلون جنوبي بلاد العرب قبل الاسلام . وهم اول الشعوب الاسيوية التي عبرت البحر الاحمر وامتزجت بجنود إفريقية »(١)

على أن تأثير الفرس قليل في دم الاحباش ، لعدم دوام العلاقات بين الامتين فترة طويلة من الزمن ، ولبعد الشقة بين البلدين .

والذي تبين لنا بعد مطالعة آراء الباحثين والمؤرخين أن الدم الحبشي الحالي عبارة عن مزيج من دماء النوبيين (قدماء مصر) والبرابرة، ودم العرق الاحمر ، والدم العربي :

فالمصريون القدماء أثروا بهم وتأثروا هم بهم ايضا ، لكثرة الفتوحات المتوالية التي قامت بين البلدين (كما ستطالعه في فصل التاريخ)

أما الدم البربري فقد امتزج بدمهم وشكل عنصراً قويا فيه في بعض الجهات الغربية والجنوبية الغربية ، بسبب الجوار.

وأما الدم الاحمر فهو دم السكان الاصليين والحد الاوسط ما بين دم الاعراب وزنوج الفوندج .

وأما الدم العربي فقد تسرب اليهم من الفتوحات العظيمة التي توسع بها عرب اليمن (قبل الاسلام) في بلاد الحبشة . وقد كانت لهم القدم الراسخة مدة طويلة من الزمن في بلاد سبط يهوذا .

وقد كان أثر القبائل العربية التي نزحت من شرقي البحر الاحمر

---

(١) المقتطف ١٧ : ٢٠١

إلى غربيه عند ظهور الاسلام عظيما جدا . ولا تزال في الحبشة بعض قبائل عربية بقيت محافظة على كثير من عاداتها وديانتها ، ولغتها ايضا .

القبائل العربية في الحبشة

أهم هذه القبائل هي :

الدناقل:

شعب خليط من العرب والنوبة الاصليين . وينقسمون إلى عدة فخوذ ، منها فخذ « مرعي الشريف » الذي يدعي أصحابه النسبة لآل بيت النبي العربي صلى الله عليه وسلم .

العباسي:

قبيلة من اكثر القبائل اهلا وأعظمها شأنا ترجع باصلها الى الدناقل وهي طبقتان : اهل مدر ، وأهل وبر . فاهل المدر هم الحواضر وسكان القرى ، ويعيشون من الزرع والنخل والضرب في الارض للتجارة والماشية — الا انهم قليلون . واهل الوبر - وهم الأكثر عددا — يقطنون الصحارى والسهول ، ويعيشون من البان الابل ولحومها منتجعين منابت الكلإ ، مرتادين مواقع القطر ، مرشدين القوافل في مسالك الطرق .

العروسيس :

قبيلة قليلة العدد تمتاز بنزوعها إلى السكينة وملازمة الحياد . يدين اهلها بالدين المحمدي الحنيف .

الدنبلا :

وهي القبيلة العربية المحضة يبلغ عدد نفوس أهلها ٢٠٠ الف يعيشون اقواما في القرى وفي المساكن ويشتغلون بالصناعة والحياكة والزراعة وفيهم فريق يدعي النسب لآل بيت الرسول العربي صلى الله عليه وسلم . وهذا الفريق موقر الجانب مهيب من الجميع . وفيها نزر ضئيل من النصارى يترفع عن العمل ويخال ان الحياة عبارة عن ملء بطنه واستفراغ شهوة .

بنو عامر :

قبيلة كثيرة العدد تقطن على حدود السودان والحبشة يحكمها سلطانها بالوراثة وله السلطة المطلقة على الاهالي يذعنون لامره ويخضعون لنواهيه . وصلة سلطانهم بامبراطور الحبشة اسمية فقط من حيث الخضوع والولاء .

عبرت :

قبيلة اسلامية تنسب الى قريش وتقطن في المقاطعة المسماة باسمها في « شوا » وهي ارقى القبائل المعاصرة واذكاها عقلا واكرمها خلقا يميل اهلها الى الدرس والعلم ويتفانون في حب دينهم تفانياً كلياً

وقد تخرج منهم علماء يذكرون: أخلدهم ذكراً المرحوم الشيخ «الجبرتي» صاحب التاريخ المشهور ومؤسس رواق الجبرتية بالجامع الازهر الذي يختلف اليه الطلبة من مسلمي الاحباش. (١)

نوبا:

قبائل جاءت من بلاد العرب. اشتهر اهلها بالبسالة وحب القتال حتى استطاعوا بجهادهم ان يبسطوا حمايتهم على قبيلتي «منسا» و «ماريا» الحبشيتين المسيحيتين، وعلى قبائل أخرى قاطنة على التخوم الشمالية.

الجباب:

قبائل كثيرة مسماة بهذا الاسم تقطن شرق بلاد بني عامر. اعتنقت الدين الاسلامي الحنيف منذ نزوحها في القرون الاولى لهجرة الرسول العربي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الجبريتون رجال علم ودين تخرج على علمائهم عدد عظيم من الرجال. ذكر الشيخ محيي الدين بن عبد القادر العيدروسي في «النور السافر» عن اخبار القرن العاشر، تراجم وافية لكثير من الجبرتيين، منهم: المعمر جمال الدين محمد النور ابن عمر الجبرتي من بقية اصحاب الشيخ اسماعيل بن ابي بكر الجبرتي (توفي عام ٩٠٣ هـ)، والشيخ وجيه الدين بن عبد الرحمن بن محيي الدين الجبرتي (المتوفى عام ٩٠٦ هـ)، وعفيف الدين عبد الله بن عبد الرزاق الجبرتي (توفي بالمدينة المنورة عام ٩١٨ هـ)، وحامد بن محمود الجبرتي نزيل مكة المشرفة وكان إليه النهاية في العلم والعبادة (توفي عام ٩٦٢ هـ)

الأمراض والمداواة

والجغرافيا الطبية

لم يتسرب الطب الحديث إلى الحبشة حتى الآن، ولا يعرف الطبيب إلا طبقاتهم الرفيعة . فالطب الحبشي السائد مقصور على الرقى والتعاويذ والتمائم والكي . والطبيب في الحبشة هو إمام الدين أو القسيس او الكاهن. ولكن الحكومة الحبشية عندما بدأت ترسل البعوث العلمية إلى مصر وسورية واوروبا رأت من الخير إيفاد الكثرة الساحقة من طلابها لدرس الطب ـ نظراً لما ينتاب الاهلين من الامراض المختلفة التي لم يعرف لها دواء عندهم ـ خلا بعض معلومات توارثها الأبناء عن آبائهم وهؤلاء عن اجدادهم من قبل.

والجغرافيا الطبية لم تعرف في بلاد الحبشة قبل مستهل العصر الماضي وكان لاختبارات الاطباء الفرنسيس أحسن الأثر في معرفة الامراض وأسبابها وعوارضها وطرق الوقاية منها ، حتى إن بعض هؤلاء الاطباء ذهب ضحية تفانيه في العلم .

وإنا ملخصون فيما يلي تقارير البعوث الطبية :

١ـ الحميات المرزغية أكثر الامراض انتشاراً . تكثر الاصابات فيها بين سكان الهضاب القليلة الارتفاع ، وعلى ضفاف الانهر .

٢ـ البرداء (الملاريا) تفتك فتكا ذريعا ؛ ونتائجها تظهر بعيد فصل الامطار ، لذلك يسارع الناس قرب انتهاء هذا الفصل الى المرتفعات.

٣ـ اجتاح الحبشة بين عامي ١٨٣٠-١٨٣٦ الريح الاصفر (الكوليرا) للمرة الاولى ، وبين عامي ١٨٥٦-١٨٦٦ للمرة الثانية.

٤ـ الزُّحار (الزنطارية) منتشر بفظاعة ؛ يقاومونه بمزيج مركب من اللبن الخاثر والبصل والفلفل الاحمر .

٥ـ النزلة الوافدة (الكريب) والانفلونزا كثيرا الانتشار في في المناطق الجبلية .

٦ ـ ينتج عن تغير الطقس الفجائي نوع من الخناق المعدي . ويحاول الحبشان استئصاله بوخز لوزتي المريض الملتهبتين بالاظافر الحادة السامة .

٧ ـ امراض العيون منتشرة في معظم المناطق ، لتصاعد الدخان وانتشاره اولا ، ولضوء الشمس الساطع ثانيا . إلا ان خطر هذا المرض في الحبشة اقل منه في مصر.

وقد شاهد احد اعضاء البعوث عدداً عظيماً من النساء والاولاد العميان في جوار مقاطعة شوا.

والاحباش يعالجون امراض العين بوضع قليل من التبغ المسحوق فيها ، او بأخذ الدم من الجبين .

٨ ـ الجدري منتشر انتشارا عظيما ، بحيث لا تمر ست سنوات إلا

ويتتاب مقاطعة من المقاطعات .

وقد اصطحبت بعثة انكليزية كميات وافرة من المصل المضاد للجدري لتلقيح السليمين ، ولكن الحبشان على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، لم يرضوا بالتلقيح زاعمين انه غير شاف . وقد اطلع الامبراطور نفسه على أنبوب مليء بالمصل ، فلم يركن الى عملية اللقاح ، بل طلب حفظ هذه الانابيب بالجلد وحملها ... كما لو كانت تمائم تقي من الجدري !...

ومن عادة الحبشان — عندما يعتري احدهم هذا المرض — أن يعطوه قدحا من الزبدة المذابة في الايام الثمانية الاولى لظهور البثور . وعقب ركونها يحلق شعر رأسه وبدنه بالموسى ويستحم بماء حار مدة اثني عشر يوما ، كل يوم ثلاث مرات . ويحظر على المريض الاشتراك بالحفلات او الاقتراب من الناس في أثناء مرضه .

٩ . — يصابون في الغالب بالدودة الوحيدة او ماشاكلها من الديدان في الاحشاء الداخلية وكثرة إصابتهم بهذه الامراض متأتية من أكلهم اللحم النيء (وهو مايدعونه بالبرندو BRINDO) . والمصاب بهذه الديدان يتناول مسحوق ورق شجرة الكوسو (KUSSO) المجفف المنقوع بالماء . ومسحوق الكوسو هذا سمي شديد الفعالية ، حتى إن المصاب اذا تناول كمية تزيد عن الحد الذي يمكن ان يقاومه جسمه ، كان نصيبه الموت !

١٠ — ومن الامراض الاخرى التي تنتابهم : التهاب القصبات ، ووجع المفاصل الحاد (الروماتيزم) والجذام ، وداء الخنازير والزهري

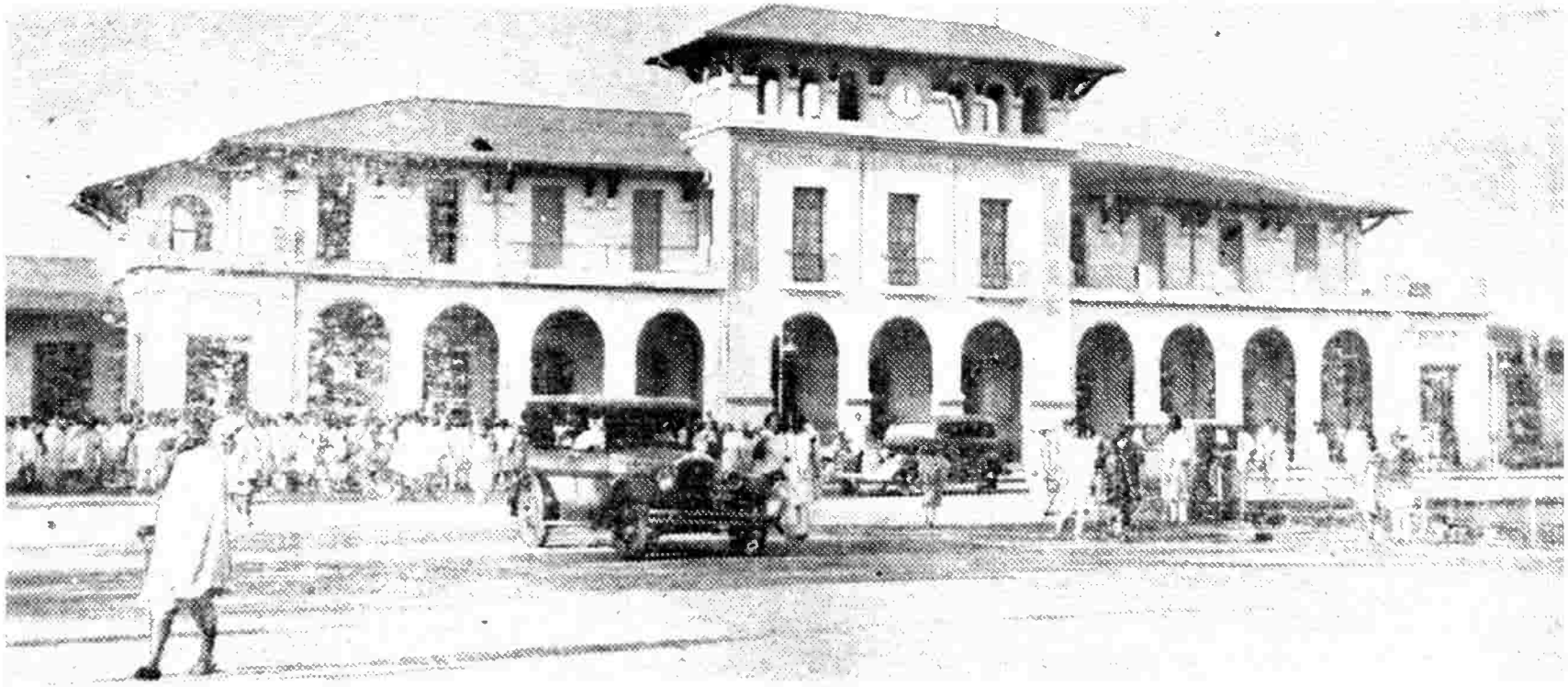

محطة «أديس أبابا» الكبرى التي انشأها الامبراطور هيلا سلاسي الاول

الاحباش يعرفون العدوى ولكنهم يجهلون كيفية انتقالها لذلك يمكننا تعليل انعزال المصاب بالزهري - إذا كان من الطبقات الرفيعة. والمصاب بهذا المرض يحلق شعر رأسه وجسمه بالموسى ، وينزوي في غرفة مقفلة أربعين يوما، ويحتمي حمية قاسية يشرب في اثنائها علاجات من مركبات الصودا .

ويعالجون وجع المفاصل والتهاب القصبات بالكي ، ولهم جلادة عظيمة على تحمل الآلام .

الحبشة

التاريخ :

١٠- التاريخ العام ؛

٢٠- علاقة العرب بالحبشة قبل الاسلام ؛

٣٠- علاقة العرب بالحبشة بعد الاسلام .

١٠ - التاريخ العام

١٠ - يزعم سكان الحبشة ان بلادهم كانت تابعة لبلقيس ملكة سبأ. وبلقيس هذه تزوجت سليمان (ع) وانجب تزاوجهما ولدا أصبح فيما بعد رأس الاسرة المالكة الحبشية.

٢٠ - والتاريخ يحدثنا ان السلالة الثانية عشرة من فراعنة مصر احتل جنودها الحبشة وأخذوا يعملون فيها نهباً وسلبا.

وفي زمن السلالة الثالثة عشرة تغلغلت جنود الفراعنة في الحبشة إلى ان وصلت إلى ملتقى نهر «التكازي» بالنيل، وجعلوا هذه الاراضي تحت الحماية المصرية؛ يولي فرعون عاملا عليها أحد أبنائه او اقربائه. ومما يدل على رسوخ قدم الفراعنة في الحبشة حقبة طويلة، انهم تركوا فيها آثارا ومسلات مازالت انقاضها حتى اليوم، وجعل الحبشان انفسهم يتكلمون اللغة المصرية القديمة، بعدما دانوا بدين الاله فرعون.

وفي سنة ٩٣٠ ق. م. تخلصت الحبشه من ربقة الحماية المصرية، فاستقلت وعظم شأنها، وأخذ فراعنتها (١) - عندما اشتد متنهم وقوي

---

(١) مما يدل على عظيم اثر المصريين في الحبشان ان هؤلاء عندما استقلوا صاروا يلقبون رئيسهم الاعلى: «فرعون».

ساعدهم ـ يغزون البلاد المصرية ؛ فتغلبوا على المصريين واحتلوا بلادهم واذاقوهم مرارة ما كانوا ذاقوه منهم فيما سبق . حتى يقال إن فتوحات الحبشان وصلت في زمن « سابسون » إلى سواحل البحر المتوسط !

٣ . ـ ثم حدثت حروب بين خلفاء « ساباسون » والآشوريين انتصر فيها عليهم أحد ملوك آشور المسمى « اسار هندو » عام ٦٧٠ ق. م. وتوغلت جنوده في البلاد المصرية حتى وصلت إلى « منفيس » حاضرة مصر إذ ذاك .

واراد الحبشان فيما بعد ان يسترجعوا بلادهم المحتلة (مصر) من الآشوريين ، إلا انهم لم يفلحوا : فقد اوقع فيهم « آشور بانيبال » واقعة عظيمة قرب مدينة « طيبة » واستولى على البلاد المصرية كرة اخرى .

اثرت هذه الحروب في قوى الجيش الحبشي ، فاذعن للسكينة فترة من الزمن ، بقيت فيها حكومة حفيد سليمان بمعزل عن العالم المتمدين .

٤ . ـ ومؤرخو اليونان يذكرون ان « بطليموس إيفرجيت » حارب الاحباش قرب « اكسوم » ويثبت هذه الحرب مخطوط قديم اتي به احد الجوابين من اكسوم .

على ان الفتح اليوناني لم يدم طويلا : ذلك لان اراضي الحبشة صعبة المرور ، عسيرة المسالك ، حتى كأن جبالها عبارة عن قلاع وحصون اقيمت للدفاع عن حوزة الوطن .

ولهذا لم ترسخ قدم فاتحيها (من فراعنة وآشوريين وبطالسة) ، بل

كان هؤلاء الفاتحون يكتفون بارسال الجنود للغزو والسلب والنهب حتى حدود النيل الازرق في الداخل ، ومصوع وحدود جيبوتي (١) في الساحل ، ثم لايلبثون ان يرجعوا من حيث اتوا : سواء أأقاموا في بلاد الحبشان حقبة طويلة ام قصيرة .

٥ . ـ وكان للعرب القدح المعلى في التوسع والاستعمار في الحبشة فقد استولى امراؤهم عليها مدة قرن كامل (٤٠٠ ـ ٣٠٠ ق . م).

٦ . ـ دخلت اليهودية الحبشة ـ كما ذكرنا ـ قبل النصرانية ، لسبقها في الوجود . ثم دخلتها النصرانية على يد الراهب « فرومانوس » في عهد قسطنطين ملك الروم . وكان يغزو البلاد وقتئذ مبشر والبوذيين ـ فكان من السهل تغيير عقيدة السكان ـ ماداموا على استعداد لتغيير دينهم .

وفي عهد « تيودرا » ارسل « جوستنيان » بعثة ادخلت الى الحبشة المذهب الاوتيكي ، فنجحت بعملها ، وكان لها أثرها العظيم . ذلك ان مسيحيي الاحباش مازالوا يقولون بطبيعة واحدة للمسيح منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا .

٧ . ـ كان القرن السادس للميلاد اخصب عصور الحبشة واحسنها

---

(١) جيبوتي مدينة حديثة على سواحل البحر الاحمر ، أسسها الفرنسيس عام ١٨٨٨ واتخذوها مركزاً للذخائر في اثناء الحرب الصينية . وما زالت تتسع وتكبر حتى غدت قاعدة الصومال الفرنسي . يبلغ عدد سكانها اليوم بين وطنيين وأجانب ٨٣٠٠ نسمة .

ازدهارا : فقد نشط ملوك اكسوم للفتح والاستيلاء فغزوا اليمن واستولوا عليها ، واسسوا فيها حكومة(١) لم يكتب لها الدوام طويلا .

٨ . — وفي اثناء ذلك طمع اليهود القاطنون في « سيمين » في الانتشار وتحينوا الفرص للامر ، فثاروا برئاسة فتاة تدعى « استير » واحتلوا الاراضي والمقاطعات حتى وصلوا الى « شوا » واسسوا فيها مملكة يهودية امتد حكمها حتى عام ١٢٥٥ ب. م. تعاقب على عرشها احد عشر ملكا .

وفي عهد المملكة اليهودية هذه كان المسلمون يغيرون على باقي البلاد غير الخاضعة لاحفاد إستير ، بمعونة اليهود كلما سنحت لهم الفرص .

٩.— ثم ضعف امر اليهود في مملكتهم هذه وكان المسيحيون يتربصون ويتحينون الفرصة الملائمة لاسترداد ملكهم المغصوب ، فأجمعوا أمرهم ووحدوا قواهم وطردوا اليهود والمسلمين ، وأجلسوا على العرش الملك الشرعي « جان املاك » سليل ملوك شوا القدماء . وكان طرد المسلمين من الحبشة نهائياً بين عامي (١٣٠١ - ١٣٣١ م.)

١٠ .— وفي عام ١٥٣٨ م. احتل محمد كوشي (أميرزيلع) أمحرا وتيغري وهاجم اكسوم عاصمة البلاد وأعمل فيها النار . فنقلت العاصمة بعدئذ الى غوندار .

إلا ان المسلمين تقهقروا أمام تضافر الجيوش الحبشية والبرتقالية المتحدة .

---

(١) طالع تفصيل ذلك في فصل علاقة العرب بالحبشان قبل الاسلام .

١١ ـ كلفت معونة البرتقاليين الاحباش ثمناً غالياً : فقد استمال مبشروا الكنيسة الكاثوليكية (الذين رافقوا الجيش البرتقالي) النجاشي اليهم ، واعتنق المذهب الكاثوليكي ، وزرعوا الشقاق بين ابناء البلاد: فكانوا في منازعات وحروب دينية دائمة ، دامت زهاء قرن كامل. وفي القرن السابع عشر طرد الحبشان مبشري الكاثوليك من بلادهم وأعقب طردهم حروب وفتن داخلية استمرت حتى القرن التاسع عشر .

١٢ ـ كان « الراس عالي »(حاكم شوا وأميرها) ضعيف الارادة بطيء الحركة ، قليل الفهم ، لا يهمه من امر الدنيا سوى ملء بطنه ، واستفراغ شهوة ! وكان رئيس قصره « كاسسا » رجلاً فطناً ذكياً حاذقاً رأى ماعليه الرأس عالي من ضعف ووهن ، فجمع الاشتات وقوّى الرجال وثار في وجه أميره عام ١٨٥٠م. فتغلب عليه وتابع فتوحاته وحالفه النصر فيها : فقد هاجم التيغري عام ١٨٥٥ وافتتحها واحتل « مغدالا » وتوج نفسه ملكا على الحبشة باسم « امبراطور ايثوبيا تيودوروس الثالث » واتخذ انكوبير قاعدة لملكه .

وعندما استتب له الامر ، رأى ماعليه بلاده من الضعف والوهن والانحطاط ، فاهتم بالجندية وأسس جيشاً مدرباً يبلغ عدد رجاله ١٥٠ الف مقاتل ، واحكم الصلات والعلاقات بينه وبين رجال بعض العواصم الاوروبية.

طلب تيودروس إلى صاحبة الجلالة البريطانية ، الملكة فيكتوريا أن تزوره في بلاده . ولما لم تجبه إلى طلبه ، حنق على جميع الاوروبيين واودى بجميع البيض الموجودين في بلاده في غياهب السجون . وكان من جملة الذين اصابتهم هذه المصيبة قنصل انكلترا « السير كمرون »(١)

فاجابته الملكة فيكتوريا على عمله هذا بحملة مؤلفة من ١٦٠٠ مقاتل مجهزين باحدث التجهيزات الحربية المعروفة الى ذلك الحين ، وكان على رأس هذه الحملة السير روبرت نابيير (NAPIER) (لورد بعدئذ)

أبحرت الحملة في كانون الثاني من عام ١٨٦٨ من خليج ادوليس ، ووصلت الى مغدالا بعدما لاقت من صعوبة المسالك ووعورة الطرق الشيء الكثير .

وعندما علم الملك تيودوروس بالحملة ، استعد للامر وصمم على مجابهة القوة بالقوة . فاخذ الانكليز يتقربون من الرؤوس ـ اعداء الملك تيودوروس ـ ويعقدون معهم صلات ود وولاء . وكان من بينهم « الرأس كاسايي » أمير تيغرى (وهي مقاطعة ذات اراض وعرة ، ومسالك صعبة ، لابد للجيش الانكليزي من اختراقها حتى يصل إلى مغدالا) فقدم له القائد الانكليزي هدية منها : بندقية بطلقين ، واقداح زجاجية ، وحصان عربي !

---

(١) اول قنصل انكليزي في بلاد الحبشة اوفد عام ١٨٤٩ م

وقابل الرأس كاسايي الهدية بمثلها ، اذ قدم له « بغلة » !..

* * *

تقدم امير تيغري وجنوده الحملة الانكليزية ممتطيا هو والقائد الانكليزي ظهر فيلين . وتسلق الفيلان ومن عليهما ومن يتبعهما من رجال الآكام المؤدية الى هضبة « مغدالا » . ووقعت بين الفريقين المتحاربين مناوشات كانت تنال مقدمة الانكليز . ثم تقدمت الحملة وحاصرت المدينة وامطرتها وابلا من القنابل. وفي تلك المعركة كانت اصوات المدافع تلعلع لاول مرة في فضاء الحبشة ، فاتت على الاخضر واليابس واصبحت المدينة طعمة للنار واسنة الحراب . فاضطر الملك تيودوروس لاطلاق سراح الاسرى الاوروبيين وفضل الانتحار على ان يقع اسيراً في يد اعدائه !

وفي ١٣ نيسان ١٨٦٨ احتل الجيش الانكليزي مغدالا وأسر ابن الملك، الذي ارسل رأساً الى انكلترا !

وفي حزيران من السنة نفسها قفلت الحملة راجعة دون ان تتكبد خسائر تذكر، فقد كان خسارها محصوراً بقتيلين اثنين وعشرين جريحا.

وعندما تم الامر للانكليز نصبوا الرأس كاسايي أمبراطوراً على الحبشة باسم « يوحانس » جزاء له على حسن اعماله ولخدماته التي قام بها!!

وفي سنة ١٨٧١ أرغم الامبراطور « الرأس غوبازيه » امير أمحرا ، والرأس منليك أمير شوا ، على طاعته والاعتراف بملكه على الحبشة

كلها ، وصمم على محاربتهما ان لم يذعنا لمشيئته . ولكنه تركهما ووجه وجهه شطر الحملة المصرية التي أرسلها خديو مصر لاحتلال الحبشة وضمها الى مصر . ولكن هذه الحملة لم تتقدم في الحبشة بل اكتفت باحتلال بلاد بوغوس عام ١٨٧٢

وبين عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٦ جرد الخديو حملة ثانية على تيغري ولكن حملته هذه انهزمت امام جنود الحبشة وارتدت على اعقابها خاسرة .

وفي هذه الاثناء عُزل الخديو إسماعيل وقامت الثورة العرابية في مصر ، وظهر المتمهدي ؛ فنجا الامبراطور يوحانس من المصريين ، ولكنه وقع بما هو أدهى وأمر ... وقع في حرب مع إيطاليا !

الحروب الايطالية

توغل الايطاليون سنة ١٨٨٤ في بعض سواحل البحر الاحمر: فاشتروا « في بورعصاب » مراكز تجارية وسيطروا على اماكن في جهات « مسانا » التي كانوا احتلوها بامر من الخديو . فلم ترق هذه التصرفات في عين الامبراطور « يوحانس » فأرسل جيشه لاحتلال تلك المنطقة ، فكان التحام واشتباك بالسلاح أديا الى قتل بعض الايطاليين . مما أحدث أثراً سيئاً في إيطاليا ...

فقررت الحكومة الايطالية إرسال حملة عسكرية لافريقية تطوع

فيها كثير من الشباب . وأبحرت هذه الحملة من « نابولي » بين عزف الموسيقى وحماس المشيعين . فوصلت إلى « مسانا » وتأهبت لمحاربة النجاشي واحتلال بلاده ، وفرض الحماية الايطالية على الحبشة ! (ومن هنا يظهر لنا أن فكرة التبسط والاستيلاء على الحبشة ليست حديثة العهد.)

استفاد الطليان من خطة الانكليز في حروبهم السابقة مع الحبشان : فعقدوا صلات ود مع بعض الرؤوس المنافسين للامبراطور. وكان أقوى هؤلاء الرؤوس وأشدهم عداوة للملك يوحانس « منليك » أمير « شووا » فوقّعوا معه معاهدة « اوكسيالي » الشهيرة التي تنص مساعدة منليك على اعتلاء العرش فيما لو ساعدهم في حربهم هذه .

استعمل الطليان في هذه الحرب جميع الاساليب الفنية الحديثة في ذلك العهد ومنها المنطاد الذي استعمل لاول مرة في الحروب كما استعمل الانكليز الفيلة من قبلهم.

ولكن حظ الطليان لم يكن مثل حظ الانكليز: لان الملك يوحانس عند ما شعر بالهزيمة أحرق الغلال والديار وسمم الآبار. أضف إلى هذا كله أن طبيعة الاقليم كانت تقف عثرة كأداء في سبيل الطليان . لذلك فكروا بوضع حد نهائي لهذه الحروب الطاحنة اللامجدية .

وفي ليلة ظلماء تسلل احد الاحباش الى خيمة قائد الحملة الايطالية واغتاله ، وانقض رفاقه من ورائه على الطليان وأعملوا فيهم الحراب ، حتى لم يعد باستطاعة الجندي الايطالي حينئذ أن يصل الى سلاحه ، لكثرة ما

انتابه من الوجل والفزع إثر المفاجأة . . .

وكتب النصر للاحباش في وقعة « دوغالي » .

خليفة المتمهدي والاحباش

انصاع يوحانس عام ١٨٨٩ لنصائح الانكليز وهاجم « التعايشي » (خليفة المتمهدي في السودان) بمئتي ألف مقاتل في مكان يدعى «القلابات» وبينما كان هو ورجاله الخلص ، والمعركة قائمة على ساق وقدم ، يتتبعون حركات الجنود ، ويشاهدون مسير المعركة انتصر الاحباش عليهم ودخلوا منازل الدراويش ، أشياع المتمهدي ـ وانخنوا خيامهم قتلا ونهباً وسلباً

وإنهم لكذلك وإذ بعدد عظيم من رجال الجيش المصري المنظم يأتي لنجدة الدراويش ، فالتحم الفريقان من جديد ، وقامت معركة عظيمة بينهما ، اصيب فيها النجاشي برصاصة اردته قتيلا . وفي الحال دب الرعب في قلوب الاحباش ، واخذوا بالتقهقر والانخذال ، وتبعهم الدراويش آخذين في تقتيلهم واسرهم ، غير مفرقين في ذلك بين الرجال والنساء . وكان بين القتلى النجاشي نفسه ، فذهبوا بجثته وامتعته وتاجه المرصع الى « التعايشي » في « ام درمان » بالسودان .

حوادث سنة ١٨٩٣

استفاد الايطاليون من هذه الحادثة ونصبوا حليفهم الرأس «منليك» امبراطوراً على الحبشة بموجب معاهدة « اوكسيالي » التي كانوا عقدوها

معه عام ١٨٨٩ ، واعترف فيها منليك للطليان باحتلال « مسانا » وقسم من « الاريترية » .

وكانت أهم مادة في هذه المعاهدة هي التي تقول :

« يوافق جلالة الامبراطور على ان يتخذ وساطة حكومة جلالة « ملك ايطاليا سبيلا الى تسوية كافة المسائل المتعلقة بالدول الاجنبية . »

وبادرت إيطاليا إلى اعلام الدول بفحوى هذه المادة واصبح مفهوما لديها ولدى هذه الدول أن الحماية الايطالية قد رفرفت على الحبشة بموافقة الامبراطور! واضاف ملك ايطاليا الى القابه «حامي الحبشة »!

واستتب الامر لمنليك الثاني وراح يفاوض الدول في شباط سنة ١٨٩٣ دون وساطة إيطاليا .

وساء إيطاليا هذا التصرف الذي يناقض المعاهدة ويقضي على الحماية ، فصاح الامبراطور يقول : « انني لم انقض المعاهدة ولم اخرق حرمة اية مادة من موادها ، بل انني احترم المعاهدة واتمسك بالنصوص. إن نص المادة التي يدعون انني خالفتها يقول (في الاصل المحفوظ عندي والمكتوب باللغة الامحرية) : « يجوز لجلالة الامبراطور ان يتخذ وساطة حكومة جلالة ملك إيطاليا سبيلا إلى تسوية كافة المسائل المتعلقة بالدول الاجنبية . » وفرق كبير بين « يجوز » لي ان افعل كذا اولا افعله بمحض اختياري ، وبين « اوافق » ، واعترف بما يقوله الايطاليون على وجه التحتيم . »

والواقع ان الامبراطور لم يوقع على غير النسخة المكتوبة باللغة الامحرية . اما النسخة الايطالية التي ورد فيها نص الموافقة والوجوب فلم يوقع عليها .

اشتد الخلاف بين الفريقين حتى ادى الى ارسال إيطاليا الكونت « انطونلي » للاتفاق مع النجاشي على امر هذه المعاهدة بالطرق السلمية مع حفظ حقوقها في الحبشة . على ان الكونت حاول عبثا اقناع النجاشي بضرورة احترام نص المعاهدة المذكورة .

وكان قد انقضت عشر سنوات على واقعة « دوغالي » (المار ذكرها) تلك الذكرى المفجعة الاليمة . وكان الطليان ينتظرون من حليفهم منليك تساهلا ليستفيدوا من الحبشة سياسيا واقتصاديا . ولكن خابت آمالهم بتمزيقه معاهدة « اوكسيالي » مما ادى الى ايغار صدورهم وإثارة حفيظتهم. فقررت حكومة « رومية » محاربته وارغامه على الطاعة : فارسلت حملة جديدة لتثأر لهزيمة « دوغالي » . وكانت تأمل هذه المرة ظفرا سريعاً . فاعدت ٢٠ الف مقاتل مجهزين بالعدد الكافية ، والذخائر العظيمة ، والمؤن التي لايشكون معها ضيقا ولا قلة . وكان يرأس هذه الحملة الجنرال « باراتييري » وابحرت من نابولي ايضا كما ابحرت سابقتها .

علم النجاشي ماعزمت عليه ايطاليا فجمع رؤساء القبائل وأعد الميرة والذخائر ، وقلد الرأس « ماكونين » قيادة الجيش . التقى الفريقان ، واشتد القتال في موقعة عظيمة كان النصر فيها حليف الطليان فاستولوا على

صورة كاريكاتورية لجلالة الامبراطور هيلا-لاسي الاول

« كاسالا » وبالرغم من هذا الانتصار الذي احرزه الطليان فانهم قد سئموا الحرب وملتها نفوسهم ، ووجد الجنرال « باراتييري » ان عدد جنود غير كاف للتوغل في قلب الحبشة ، فكان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ولاسيما وأن الذخائر كانت لاتصل إلا بشق الأنفس فأخبر بذلك « رومية » وطلب الاسراع بالجواب ، فلم يكن من الوزير الايطالي « كريسبي » الا ان اجابه جوابا وجيزا قال له فيه : « يجب ان تبدأ بالهجوم على الحبشة ، وان يخفق العلم الايطالي على عدوى قبل حلول فصل الامطار ! » . فلم يكن منه إلا الانصياع لامر الوزير .

وقعة عدوى

قسم الجنرال « باراتييري » جيشه الى ثلاث فرق ، بقيادة ثلاثة من القواد ، وسار بهم ليلة غرة آذار سنة ١٨٩٦ ، وكان على ماهو عليه من نقصان معداته ، وتعب جنوده الشديد ، يعتقد انه سيربح المعركة ويحتل عدوى . ولكن إرادة الله لم تشأ إلا أن يخيب كل جبار عنيد : فقد سلك الجيش في الليل البهيم طرقا مجهولة . ولم تشرق شمس اول آذار إلا والطليان وسط اراض صخرية ، لاوجود لها في مخططاتهم .

كانت فرقة القائد « البرتون » تؤلف الجناح الايسر من الجيش ، هاجمها الاحباش ووقعت بين الفريقين معركة دامت ثماني ساعات انجلت عن تقهقر الفرقة الايطالية .

أما الجناح الايمن الذي كان يقوده الجنرال « دابور مينا » فقد بذل جهد طاقته ليعدل كفة الجبهة المندحرة . ولكنه عبثا كان يحاول : إذ كان نصيبه نصيب الجناح الايسر .

وأثر هذا التقهقر المتمادي على القلب الذي كان بقيادة الجنرال « باراتييري » نفسه ، فهاجمه الاحباش ، واوقعوا في رجاله الذين كانوا تأثروا بعدوى التقهقر والانخذال .

وبذلك فنيت الفرق الايطالية ، الواحدة تلو الاخرى ، دون ان تجد من يعينها . وانجلت المعركة الحاسمة عن قتل (٢٥٢) ضابطا ، بينهم جنرالان ، احدهما « دابو رمينا » قائد الجناح الايمن و (٤٩٠٠) جندي وبلغ عدد الاسرى ٤٠ ضابطا بينهم « البرنون » قائد الجناح الايسر ، و (١٥٠٠) جندي و (٥٦) مدفعا .

فاضمحل بهذه الوقعة الحاسمة كل امل للطليان بالاستيلاء على الحبشة واضطروا لعقد الصلح في ٢٨ تشرين الاول في أديس أبابا بين منليك الثاني ومندوب إيطالية ، اعترفت به الحكومة الايطالية باستقلال الحبشة ، وبذلك الغيت معاهدة « أوكسيالي » .

اما الجنرال « باراتييري » فقد تخلص من المعركة بالعجوبة ، وابحر إلى روما ، ومثل فيها امام المجلس الحربي ، فبرأ ساحته .... إلا انه مات بعد ايام غماً وكمداً ...

ولم يزل الاحباش يرددون انشودة ظفرهم في وقعة « عدوى » حتى اليوم .

الامبراطور هيلاسلاسي (١)

... لاجل توطيد وشائج الملك اعطى منليك ابنته « زاوديتو » الى ابن يوحانس (المار ذكره) فمات هذا بدون ذرية ، ولم يكن لمنليك اولاد ذكور وانما كانت له ابنة ثانية « شوا رقاد » زوجها من امير مسلم كان حاربه وتغلب عليه . ثم تنصر على يده وهو المسمى بالرأس (ميكائيل) وولد له من ابنته هذه ولد اسمه (ليج ياسو) فجعله ولي عهده فلم يرق ذلك للامبراطورة « تايتو » ولا للاهالي ، ولكن توج بالرغم من ذلك (ياسو) امبراطوراً سنة ١٩١٤ ، وتسمى ابوه الرأس ميكائيل ملكا على (فولو) و (تيغري) والنائب العام للمملكة . وكان مولد الامبراطور الذي سنة ١٨٩٧ فظهرت منه افعال شاذة اغضبت الاهالي ، واشتد الغضب عندما اظهر الاسلام راجعا الى دين اهله فاجتمع الاساقفة والامراء وعظماء المملكة ، وعقدوا مجمعا خلعوا فيه « ياسو » وبايعوا « زاوديتو » ابنة منليك امبراطورة وجعلوا « الرأس تافاري » (جلالة الامبراطور الحالي) كافلا للمملكة ووليا للعهد سنة ١٩١٦ . وكان الرأس « تافاري » متزوجا بابنة الراس (ميكائيل) اخت « ياسو » فعزله « ياسو » من ولاية « هرر » فزحف على راس العساكر الحبشية لقتال حميه وابن حميه ، فكانت حرباً ضروساً ،

---

(١) حواشي حاضر العالم الاسلامي للامير شكيب ارسلان : ج ٣ ص ٧٨ وما بعدها . الطبعة الثانية القاهرة ١٣٥٢ هـ

طالت واشتدت ولكنها انتهت بتغلب تافاري على خصمه ، وجيء بهذا مصفداً الى اديس ابابا بعد ان دارت عليه الدائرة في وقعة « دبره برهام » في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩١٦ وفي ٢ تشرين الثاني استعرضت الامبراطورة الجيوش ، وجيء بالراس ميكائيل ايضاً مقيداً بالسلاسل امام العرش الامبراطوري . فيقال ان صهره وغالبه الراس «تافاري» رق لحاله وتذكر مابينهما من الرحم . فقام واجلسه مكانه . اما «ياسو» فبعد مقاتلات شديدة ايضا اخذ اسيرا وحبس في قلعة واستوثقت الامور للراس «تافاري» اهـ.

ولم يمض وقت طويل حتى لعب دهاء الراس تافاري وذكاؤه دوراً كبيراً فما لبث ان اصبح الحاكم الآمر وتجمعت اسباب السلطان كلها في يده وغدت الامبراطورة قعيدة القصر لاعمل لها في نهارها وليلها إلا الصلاة !

وكان للامبراطورة ـ قبل ان ينادى بها امبراطورة على الحبشة ـ زوج هو الراس «غوسكا» اضطرت الى تطليقه حين ارتقت العرش لان دم الملوك لم يك يجري في عروقه .

ولما تقلص سلطان الامبراطورة واشتد نفوذ الرأس تافاري ، تقرب غوسكا الى زوجته السابقة ، وراح يستحثها على استعادة سلطانها وممارسة مهام الملك ، واستمعت الامبراطورة لزوجها وراحا يحيكان الدسائس للرأس « تافاري» . اما هذا فانه لم يأبه لدسائس غوسكا وزوجه وانما انطلق يجمع قلوب القواد حوله ، ويثبت نفوذه ، وينشر سطوته في

كل مكان ، ويخضع الملوك الاقطاعيين لشوكته فلم تر الامبراطورة بدا من ان تمنحه لقب ملك في سنة ١٩٢٨ ؛

وكانت هي لاتزال وثيقة الصلة بالراس غوسكا . وكان هـذا قـد ساءه امتداد نفوذ تافاري فاعلن عليـه الثورة وامـدت الامـبراطورة زوجها السابق ورجاله بالمال والسلاح . وخشي تافاري من عواقب حرب داخلية ، فحاول الاتفاق مع غوسكا ، ولكن هذا خيره بين امرين اثنين : إما ان يتنازل تافاري عن سلطانه المغصوب ، ويعيد إلى « ياسو » حقوقه المسلوبة ، وينادي به امبراطوراً او ملكا على ملوك الحبشة ، واما الحرب .

واختار تافاري الحرب ، إذ كان قد اعد نفسه لها منذ زمن بعيـد ، وألف جيشـاً قوامه ٢٠ الف رجل درّبهم على النظم الحديثـة وزودهم بآلات الحرب العصرية . و كانت المعركة الحاسمة في اول نيسان سنة ١٩٣٠ التقت فيه طليعة الجيشين في « دبوازبيت » على مسافة ١١٢ ك.م. من بحيرة « تانا » وتحفز الجيشان للهجوم ، وجمع غوسكا جنوده ، وتقدم للقتال وإذ بثلاث طيارات يقود إحداها الطيار الفرنسـي « اندره مايه » (وكان في خدمة تافاري) تظهر في الجو فجأة ، وتصب على جيش غوسكا وابلا من حممها . فدب الذعر في قلوب اتباع غوسكا ، لانهم لم يعتادوا على رؤية الطيارات ، ولم يكن لهم ادنى فكرة سابقة عنها ، بخلاف رجال تافاري فانهم كانوا على فكرة سابقة منها .

وفي خلال هذا الارتباك ، هجم تافاري بجيشه المدرب ، فأكمل

هزيمة جيش غوسكا الذي قتل منه زهاء ٦٠٠٠ رجل بينما لم يخسر تافاري سوى ٣٠٠ فقط.

... وقطع رأس غوسكا وألقي تحت قدمي تافاري وتم له الفوز والانتصار، وتساءل الاحباش حينئذ: ترى! ماذا عسى يكون مصير الامبراطورة بعد انحدار زوجها، الذي مالأته وامدته بالمال والعتاد ليحارب تافاري، والتي ظاهرت الثائرين على وصي العرش سراً وعلانية؟

ولكن ... فوجيء الناس في اليوم التالي بموت الامبراطورة!! وانطلقت الظنون والشكوك من معاقلها: فمن قائل ان تافاري دس السم للامبراطورة ليتخلص منها. ومن قائل: إنها انتحرت لما علمت بهزيمة زوجها الذي بقيت علي حبه والوفاء له! ولكن الحقيقة ان موتها كان من تأثرها من مرض صدري كان يفتك بها منذ زمن بعيد، ولم يكن للسم اثر في وفاتها.

ولم يبق لتفاري من منافس فأسرع يعلن نفسه امبراطوراً على الحبشة وملكا على ملوكها: فتلقى الشعب والقواد الذين جربوا حكمه، وأعجبوا بشجاعته وسعة حيلته سنوات عديدة- تلقى هؤلاء ذلك الاعلان بالرضي والاغتباط، وأعلنوا ابتهاجهم بوجود رجل باسل ذكي ذي دهاء علي رأس الحبشة.

وصف حفلات التتويج

دعت الحكومة الحبشية ملوك العالم ورؤساء حكوماتها لحضور حفلة تتويج الرأس تافاري التي تقام في ٢٠ تشرين الثاني من عام ١٩٣٠ امبراطوراً على الحبشة وملكا للوكها باسم « هيلاسيلاسي »

وقد كانت الاستعدادات لهذه الحفلة عظيمة التي اشترك فيها كبار رجال العالم .

غصت العاصمة قبل موعد التتويج بيومين بوفود القبائل التي تدفقت عليها من جميع ارجاء البلاد ليتسنى لها مشاهدة تلك الحفلات الباهرة والاشتراك مع سكان العاصمة في اجتلاء محاسنها والاعراب عما تكنه قلوب أفرادها من الولاء للامبراطور. فضاقت بهم دور المدينة والاماكن المعدة فيها لنزول الزائرين والوافدين ، فضربت لهم المضارب خارج المدينة على نفقة الحكومة .

ولما انبثق فجر يوم التتويج ارتدى الامبراطور الملابس الفخمة التي أعدت له لكي يلبسها في حفلة تتويجه . وفي ساعة مبكرة جدا من ذلك النهار كانت الجماهير قد بدأت تحتشد على جانبي الطريق الذي اجتازه الموكب الامبراطوري لكي يتاح لها مشاهدته وتحيته .

وقبل ان يأزف موعد التتويج بنصف ساعة تحرك الركاب الامبراطوري من القصر الى كاتدرائية القديس جرجس حيث اقيمت الحفلة . وكان

الامبراطور راكبا مركبة فخمة كانت فيما مضى من الزمان للامبراطور غليوم الثاني ، وكان يقلها ستة من الجياد النمسوية المطهمة . وكان الجنود مصطفين على طول طريق الموكب ، فادوا التحية العسكرية للامبراطور الجديد . وقد جرت المراسم في الساعة السابعة والنصف صباحا بسبب الحر فاضطر اعضاء الوفود الاجنبية إلى الاستيقاظ من نومهم في ذلك اليوم في نحو الساعة الخامسة صباحا .

وكان الامبراطور لابساً حلة قرمزية مزركشة بالقصب . ولما وصل الى الكاتدرائية استقبله كبار رجال الدين وهم لابسون حللا نفيسة بنفسجية اللون وفوقها معاطف مزركشة بالقصب على اجمل منوال . وجرت حفلة التتويج طبقا للمراسم والتقاليد . وبعد الحفلة عاد الامبراطور إلى القصر الامبراطوري حيث استقبل عند الظهر رؤساء الوفود الاجنبية .

وفي المساء أدب الامبراطور مأدبة عشاء رسمية لرؤساء تلك الوفود وكبار اعضائها . وكانت تلك المأدبة فاتحة سلسلة الحفلات والولائم التي استمرت سبعة ايام بلياليها ابتهاجا بتتويج الامبراطور وفي أثناء تلك الايام السبعة كان رجال الجيش والدين يطعمون على حساب الامبراطور وقد وقف خلف كل مدعو من المدعوين الى تلك المآدب الرسمية عبد اسود اللون وهو يحمل مروحة كبيرة من الريش الفاخر .

ومع ان عدداً كبيراً من الراقصات العربيات والافريقيات وفدن على أديس أبابا ليرقصن في حفلات الامبراطور ، فان جلالته جلب من

باريس جوقة راقصة خاصة ليسلي مدعويه بمناظر رقصها . وكانت الراقصة الاولى فارسية الجنس واسمها « ليانا كو » وكان يقول عنها رجال الفن في باريس إنها تملك أجمل جسم في العالم ! وكان يشترك معها في الرقص راقصات من روسيا وإيطاليا والمانيا . وكان بين الرقصات التي رقصتها رقصة ترمز الى اجتماع ملكة سبأ بالملك سليمان عندما زارت القدس الشريف — وقد ذكرنا ان ملوك الحبشة يزعمون انهم من سلالة ملكة سبأ .

وقد كان بين الاوامر التي اصدرها جلالته بمناسبة حفلات تتويجه منع المتسولين من الطواف في العاصمة طول مدة حفلات التتويج، وإقصاء المشوهين واصحاب العاهات إلى خارج المدينة ، واقامة الحواجز امام الاكواخ الحقيرة لحجبها عن الانظار . وقد امضي الايام الاخيرة التي سبقت يوم حفلة تتويجه بتفقد نظام المدينة ومظهرها بنفسه .